٢ ــ الرعاية التربوية لكبار السن :

لكي تتكامل نظم الرعاية التربوية لكبار السن، كان ضروريا أن تشـــمل نظم الرعاية جميع وسائط الثقافة فـــي المجتمـــع المصـــري بصورتيـــها النظامية، وغير النظامية، وبجميع مؤسساتها، لذلك سيتناول البحث دراســـة وتحليل دور كل من المجتمع والأســـرة والمســـجد ووســـائل الإعـــلام ثـــم المدرسة.

رعاية المؤسسات التربوية اللانظامية للمسنين :

أ ــ دور المجتمع في رعاية المسنين :

من الشائع في مجتمعنا العربي أن المسن يوضع في مركـــز الصـــدارة والسلطة، وذلك تبعا للعادات والتقاليد المأخوذ بها، وببلوغ رب الأسرة لسن الشيخوخة تتناقص قدرته على العمل، ويحتاج للرعاية المتزايدة عاما بعـــد آخر، وبهذا يتراجع مركزه داخل الأسرة ويعتبر عبئا على الأسرة، بل وعلـــى المجتمع كله، وكانت بعض القبائل البدائية قديما تتخلص من مسنيها بـــأن تبيعهم لقبائل أخرى تأكل لحوم البشر، ثم جاءت الأديان الســـماوية وكلـــها

تحث على رعاية الآباء والأمهات، وزاد الإسلام على ذلك حرصه على تـأكيد مركز الآباء والأمهات وحث الأبناء على البر بهم والدعاء لهم، وأصبحـــت قيمة المسن تنبع من ذاته وليس من فائدته أو العـــائد المـــادي منـــه، ثـــم تطورت المجتمعات وسيطرت القيمة المادية علـــى بـــاقي القيـــم، وحدثـــت تغيرات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وتطـــورت المجتمعـــات مـــن الريفية إلى الحضرية، وكان لذلك تأثيره على الأسرة وبخاصة بين المســنين من أفرادها، ومن هذه التغيرات ما يلي:

١-تغير نظام الأسر الممتدة إلى الأسر النووية.

٢-خروج المرأة للعمل وتضاعف أعبائها مما يعـــوق قدرتـــها علـــى رعاية الآباء.

٣-اتجاه الأفراد للاستقلال والتحرر من سلطة الآباء خاصة بعد ظـــهور نظام التأمين الاجتماعي وضمان حياة مستقرة مادية للمسنين بعـــد تقاعدهم وشيخوختهم.

٤-صغر حجم المساكن وارتفاع أسعارها مما أدى إلـــى عـــدم قـــدرة الأسر النووية على استيعاب أفرادها المسنين.

٥-تراجع مركز المسنين في الأسرة لانتشار القيم الماديـــة، واعتبـــار قيمة الشيء بقدر فائدته والعائد منه.

٦-ضعف العلاقات الأسرية لغياب الأب والأم وانشغال كل فـــرد فيـــها بأموره الخاصة. (٦٨)

٧-جهل الأفراد بحاجة المسن وكيفية رعايته.

٨-تزايد التنافر بين الأجيال (الأجداد والأبناء والأحفاد) لتضارب القيم، مما يؤدي إلى عزلة المسنين اجتماعيا.

٩-كثرة المشكلات المادية للمسنين لثبات المعاش وارتفـــاع الأســـعار المتزايد، مما يشكل عبئا على الأسرة.

ولا شك أن المجتمع المصري لازال يحتفظ بالمكانة الاجتماعية للمسنين كمصدر للحكمة، ولأهميتهم في رعاية الأحفاد، وجمع شـــمل الأســـرة فـــي

المناسبات، وقد يتراجع هذا المركز للمسنين أي الجد والجدة إذا فقد أحدهما فيصبح الآخر عبئا على الأسرة.(٦٩)

ومن المعروف أن جزءا كبيرا من مشكلات المسنين ترجع لعجز المجتمع عن إدراك احتياجاتهم، فقد يظن المجتمع أن إحالة المسن للتقاعد، وإحلال الشباب محله ما هو إلا رحمة للمسن، ووقاية له من الإجهاد، وهذا الظن خاطئ لأن المسنين يشعرون أنهم أصبحوا عالة على المجتمع، وأن على المجتمع أن يعطيهم حقهم بما يناسبهم من الأعمال للإفادة من خبراتهم، ولو عن طريق تقديم المشورة للشباب، ويتذكر كبار السن في المناسبات المختلفة (مثل شيوخ العلماء والفنانين) وما قدموه للبشرية من خدمات.

ولا ريب أن بلادنا العربية في حاجة إلى تعبئة المجتمع، والمسنين أيضا تعبئة عملية ومعنوية، لتقبل فكرة العمر الطويل لنسبة من أعضاء المجتمع والاستعداد لذلك، ويلعب الدور الرئيسي في ذلك كله البحوث العلمية، ووسائل الاتصال الجماهيري، ولن يتم هذا الجهد إلا في إطار خطة قومية

تهدف لإعداد وتهيئة المجتمع، وتغيير نظرته للمسنين التي تتراوح بين الإهمال والتجاهل، لتصل إلى التعصب ضد كبار السن (أو ما يعرف باسم Ageism بدرجات متفاوتة (٧٠)

وتتضمن رعاية المجتمع للمسنين Community Care الكثير من البرامج والخدمات كتوفير العيادات النهارية، والمستشفيات، والأخصائيين الاجتماعيين، والهيئة التمريضية، والمركز المهنية للمسنين والأندية. وتشمل الرعاية أيضا إتاحة الفرصة أمام المسنين للمشاركة في معظم الأنشطة، على جميع المستويات، وهذه الأمور تقي المسن من الوقوع في دائرة المرض، وتقي المجتمع من ظهور مشكلات جديدة خاصة بالمسنين.(٧١)

ب ــ دور الأسرة في رعاية المسنين :

لا شك أن الإنسان راع ومرعي في نفس الوقت مهما كانت مكانته الاجتماعية، فكل مرحلة من مراحل العمر، وكل فئة من فئات الناس بحاجة إلى نوع أو آخر من أنواع الرعاية، ومهما كانت المرحلة العمرية التي

بلغها الإنسان، ومهما كانت حالته الصحية أو الماليـــة، فالإنســـان بحاجـــة دائمة للرعاية، فالجميع يتبادلون الرعاية مع بعضهم البعـــض فـــي نفـــس الوقت. وعلى الرغم من رابطة الدم بين الآباء والأبناء والأحفاد، فلا يكفـــي ذلك لكي يكون حافزا للرعاية في الشيخوخة، وإنمـــا يحتـــاج الأمـــر إلـــى التدريب على كيفية الرعاية الصالحة بعد إحراز تفـــهم وبصـــيرة بطبيعـــة الشيخوخة والوقوف على خصائصها العارضة وسماتها الثابتة (٧٢).

ومن الملاحظ أن أغلب المسنين يفضل العيش مستقلا مع المشاركة فـــي حياة الأسرة، وهو ما أكدته أغلب الدراسات في هذا الشأن، ونتيجـــة لذلـــك يزداد أثر الأجداد في أعضاء الأسرة الصغيرة، أو تزداد هذه العلاقة وثوقـــا في المجتمعات الريفية أكثر، حيث يقتصر نمط الحياة القائم على نظام الأسر الممتدة، فتزداد الصلة بين الأجيال والتفاعل الشديد بينهم معظـــم الوقـــت، وهو ما لا يتوافر في المجتمعات الحضرية والصناعية. (٧٣)

وتؤكد بعض الدراسات الحديثة أن الطفل الذي يقضي بعض الوقت فـــي تعامل مباشر مع المسنين تتحول اتجاهاته من السلبية إلى الإيجابية نحوهم،

وحديثا يزداد اعتماد الأسرة على الجد والجدة في تربية الأحفاد في فترة ما قبل المدرسة لارتفاع تكلفة دور الحضانة مع ازدياد خروج المرأة للعمل. (٧٤). ويمكن اعتبار رعاية المسنين استثمار وخدمة في وقت واحد لما يلي:

- يخفف على الأسرة تكلفة رعايته في دور المسنين، ويصبح عضوا مفيدا في الأسرة برعاية الأحفاد.
- يتحول دور المسن من الاستهلاك إلى الإنتاج إذا أتيحت له الفرصة للإسهام في الأنشطة التطوعية، وبذلك يوفر على الأقل والدولة تكاليف رعاية شخص مريض.
- لا يعاني المسن من الشعور بالشيخوخة من أمراض الاكتئاب والقلق. (٧٥)

ويعتبر دور الجد من أهم الأدوار في الأسرة، فقد أكدت نتائج الأبحاث التي قام بها ترول(Troll, 1982) على أن الأجداد يلعبون دورا هاما في

نسق الأسرة، فهم يقدمون للأحفاد الدعم الانفعالي والنصيحة العملية لقيم الحياة الأساسية، وأسلوب الحياة، والمهنة والتربية والوالدية.

ويختلف الأفراد من أساليبهم الوالدية، كما يختلفون في أساليبهم للقيام بدور الجد والجدة، وقد حددت الدراسات خمسة أساليب للتفاعل بين الحفيد والجد على النحو التالي:

١- التفاعل الشكلي : يقوم الجد بمهمة الرعاية في حالة عدم وجود الوالدين، ولكن لا يتدخل في تربية الطفل.

٢- التفاعل من خلال اللعب: قيام الجد بدور رفيق اللعب، يمكن أن يؤدي إلى علاقة وثيقة بين الجد والحفيد.

٣- التفاعل من خلال الرعاية : في أثناء العمل الشاق للآباء أو في ظروف السفر، يحل الجدان محل الوالدين ويقومان بمسئولية رعاية الطفل.

٤- التفاعل من خلال دور السلطة : يقوم الجد أو الجدة أحيانا بدور تسلطي، ويصبح الأبناء الراشدون تابعين لأنه وحده الذي يوزع

الموارد والمعرفة والنصيحة، لأن الجد هو مستودع الحكمة الوحيد في الأسرة.

٥- التفاعل عن بعد : لا يحدث احتكاك بين الجد والحفيد إلا من خلال الزيارات في المناسبات فقط. (٧٦)

أهمية الرعاية الأسرية لكبار السن :

أكدت نتائج العديد من الدراسات على أن للأسرة أهمية بالغة كنظام اجتماعي لتوفير وتقديم خدمات الرعاية الطويلة المدى، وفي مصر أجريت دراسة قام بها محمد نبيل عبد الحميد ١٩٨٩، عن العلاقات الأسرية للمسنين وتوفقهم النفسي، على أن معيشة كبار السن مع أبنائهم توفر لهم عدة مقومات هي:

أ) الاحتفاظ بالمكانة الاجتماعية بين الأبناء، حيث أكد على ذلك أغلب الآباء وبنسبة ٩٥%.

ب) بقاء العلاقات الودودة مع الأبناء، حيث أكد على ذلك الآباء وبنسبة ٩٦,٢%.

ج) الاحتفاظ بالقدرة على مساعدة الآخرين وحل مشكلاتهم، حيث أكد ذلك الأبناء وبنسبة ٩٤%.(٧٧)

وتوفر الرعاية الأسرية للمسنين ما يلي:

١) الدفء العائلي والروحي والإحساس بالأمن.

٢) توفير فرص التفاعل الطبيعي مع الأبناء، الأزواج، الأقارب، المعارف والأصدقاء.

٣) تحقيق الانطلاق والتعبير الحر عن الذات لدى المسنين.

٤) تحقيق المكانة الاجتماعية واحترام الذات.

٥) تكوين علاقات متعددة، وقوية داخل الأسرة وخارجها.

٦) الارتباط بالمجتمع، والأسر الأخرى من خلال الزيارات، استقبال الضيوف.

٧) ينتقي المسن ملابسه بنفسه، وتحديد مكان وموعد زيارته، وهذا لا يتحقق داخل المؤسسة.(٧٨)

ولم تضع المجتمعات الحديثة عبء رعاية المسنين كله على الأبناء، فخدمات التأمين الاجتماعي توفر دخلا ثابتا في الوقت الحاضر، وكذلك انتشار خدمات التأمين الصحي، كما أن وجود بعض دور المسنين خفف من الأعباء التي تلقى على عاتق الأبناء، ولا يعني ذلك أن يتحرر الأبناء من رعاية الآباء المسنين، وإنما عليهم أن يقدموا الرعاية والدعم للوالدين المسنين، ويلعبوا دورا هاما في حياتهم، وبذلك تنعكس أدوار الوالدية والبنوة. وبالرغم من ذلك فهناك أدلة على أن الصلة بين الأبناء، والآباء المسنين لها أهميتها وفائدتها للصحة النفسية للمسنين (٧٩).

ومن الملاحظ أن هناك تقسيمات لرعاية الوالدين المسنين، فالأبناء الذكور يختصون بالرعاية المادية، وللأم بصفة خاصة، بينما الإناث تكون الرعاية منهم في صورة المعاونة في قضاء مطالب الحياة اليومية غير المالية في أغلب الأحوال. وفي الريف يستمر الأبناء في الإقامة في بيت أبويهم، أو استضافتهم في بيتهم في أغلب المناطق الحضرية والأحياء الشعبية بصفة خاصة. (٨٠)

ج) دور المسجد في رعاية المسنين :

المسجد هو المركز الأول للإشعاع الروحي والعلمي، لأنه مكان للعبـــادة والتعلم، وإذا كان المسجد قد تضاءل دوره منذ زمـــن بعيـد، بعـد تنظيـم الجوانب الإدارية والعسكرية، ونقل هذه الجوانب إلى تنظيمات خاصة بـــها، إلا أن دور المسجد التثقيفي والتربوي المتمثـــل فـــي الموعظـــة والتعليـم والتوجيه لا زال قائما، وإن بدت محاولات من الغزو الفكري الغربي لتقليص هذا الدور في العصر الحديث لإضعاف رسالته، والحيلولة بين العلم النـــافع وتعميمه بين الناس (٨١). ويتأكد هذا الأمر في ظل الثورة المعلوماتية التي أصبح العالم فيها قرية صغيرة، لا يمكن إغفال تأثير الإعلام فيـــها، والتـــي تنبئ بحدوث تغييرات اجتماعية، وإن كانت بطيئة، إلا أنها منظورة وتنـــذر بالخطر، فيما يبثه الإعلام الغربي من قيم أخلاقية مخالفة لتعـــاليم الديـــن، وخاصة في أحداث التفكك الأسري والتفسخ الاجتماعي، لذلك فإننـــا ندعـــو لتفعيل دور المساجد التعليمي والتربوي في ضوء وظيفة المسجد الهامة في هذا الجانب، فالأثر التربوي لدور العبادة ثابت، وفعال أكثر من غيره لأنـــه يخاطب الجانب الوجداني العقائدي في الإنسان، فمن المعروف أن الإنســـان

في أثناء صلاته بالمسجد أو بالجامع يكون مسلما قيادة نفسه لمن يقوم بالوعظ والإرشاد، فالإنسان لا يعمل عقله فيما يسمع، وإنما ينفتح قلبه. وبذلك يمكن أن تبث في المصلين مثل تلك الدعوة لرعاية المسنين والعناية بهم، فالإيمان بالفكرة الركيزة الأساسية التي يقوم عليها العمل، وكذلك العادات والتقاليد الاجتماعية في البيئة. (٨٢)

من كل ما سبق تأتي أهمية وضرورة التخطيط للاستفادة من الدور التربوي التعليمي للمسجد في إرساء القيم الأخلاقية عامة، ورعاية الأسرة لكبار السن خاصة (٨٣)، وكذلك التخطيط لتفعيل دور العبادة الأخرى وخاصة الكنائس للاستفادة منها في الحث على حسن رعاية كبار السن.

د) دور وسائل الإعلام في رعاية المسنين :

لوسائل الإعلام دور تربوي مؤثر على أفراد المجتمع، وعلى الناشئين بصفة خاصة، فإشاعة روح الوفاء للمسنين والعمل على تكريمهم والاعتراف بفضلهم والحث على رعايتهم ومساعدتهم يعتبر دور هام يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام.

ومع التزايد الكبير في أعداد المسنين، فلا عجب أن يطلق علـــى هـذا العصر "عصر المعمرين" وقد كان في قرار الجمعية العامة للأمـــم المتحـدة باعتبار عام ١٩٩٩ عاما دوليا للمسنين، واعتبار أول أكتوبر من كل عـــام "يوما عالميا للمسنين" تأكيدا على أهمية هذه الفئة من كبـــار الســن فـــي المجتمع. وللصوت العال لوسائل الإعلام، وتأثيرها على الرأي العام يمكـــن إبراز أهم مشكلة تواجه المسنين في مصر، وهـــي نقـص أعـداد بيـوت المسنين (مما أدى إلى وجود قوائم انتظار كبيرة) على المســئولين بحيـث تتجمع لديهم آراء عملية قابلة للتطبيق، وذلك للاســتعانة بـذوي الخـبرة والرأي، أو طرح القضية للاستفتاء الشعبي. (٨٤)

وقياسا على أن الشخص عندما ينتقل من مرحلة عمرية إلـــى أخـرى، فإنه يحتاج إلى التوجيه النفسي (مثلا من الطفولة للمراهقة)، لذلك فالإنسان يكون أكثر حاجة للتوجيه النفسي لدى انتقاله من الكهولة (٦٠ سنة فـأكثر) إلى الشيخوخة والتي تمتد إلى نهاية عمره.

وبالرغم من اهتمام وسائل الإعلام بجميع الأعمار لدى الجنسين، إلا أن الاهتمام الموجه لمرحلة الشيخوخة يعتبر قليل بالمقارنة بالفئات الأخرى (٨٥)، ولكن من الملاحظ أن الإذاعة توجه عناية أكبر لهذه المرحلة من الوسائل الإعلامية الأخرى. ومثالا على ذلك يقدم التليفزيون برنامج "ربيع العمر" وبعض المسلسلات والسهرات وبعض الأفلام القديمة، بينما الإذاعة توجه عدة برامج لكبار السن مثل برنامج "الخير والبركة" وبرنامج "أعز الحبايب" و"أضواء على الماضي" و"ينابيع الحب"، و"العمر الجميل"، و"ذكريات جدتي"، و"برنامج نحن معك"، الذي يساهم في حل مشكلات المسنين وإيصال شكواهم للمسئولين، كما بدأت الصحافة تهتم بكبار السن وتحديد أبواب ثابتة لهم (٨٦).

رعاية المؤسسات التربوية النظامية للمسنين :

دور المدرسة في رعاية المسنين :

لا ريب أن للمدرسة دور كبير في التأثير على عقول التلاميذ، بمراحل التعليم المختلفة من خلال مناهجها، وبما تشمله من موضوعات تبث القيم الأخلاقية في نفوس النشء. ولكن المتتبع لمناهج التعليم العام في مراحله

المختلفة يلاحظ أن مرحلة الشيخوخة لم تحظ بنصيب يذكر في موضوعات اللغة العربية أو المطالعة، لذلك كانت توصية المؤتمر العالمي للشيخوخة المقام في فيينا بالنمسا بأن التربية يجب أن تعرض لأهم سمات الشيخوخة واحتياجاتها والإعداد لها (٨٧). أيضا في توصية المؤتمر الدولي للمسنين المنعقد في الفترة من ١٨ ــ ٢٠ مايو ١٩٩٩، بوجوب القيام بدراسات من شأنها تطوير المناهج والمقررات الدراسية الحالية داخل قطاع التعليم العام، ومحاولة تنقيتها من المفاهيم الخاطئة حول المسنين، وضرورة تأصيل القيم الدينية والاجتماعية الأصيلة التي تحث على البر والإحسان بالوالدين، والأجداد داخل مناهج التعليم، وبرامج الإعلام والتثقيف (٨٨)، فالمدرسة لها دور كبير في ربط جيل الشباب بجيل الكبار من المسنين، وهذا الإحساس يجب غرسه منذ الطفولة عن طريق التربية الأسرية من جهة، والتربية المدرسية من جهة أخرى. ويقع على المدرسة المسئولية الكبرى في بث روح الاحترام للشيخوخة، وحمل الناشئين على الاعتراف بضرورة تكريم الشيوخ، ورعايتهم وإقامة صلات وعلاقات معهم سواء داخل بيوتهم أو في المؤسسات الرعوية، وذلك بواسطة المناهج المدرسية والمناشط

اللامنهجية مثل الإذاعة أو الصحافة المدرسية، والاحتفال بالمعلمين المسنين في يوم المعلم، وتكريم المعلمين الذين سيتقاعدون بالمدرسة. (٨٩)

ثانيا : الدراسة الميدانية

للإجابة على التساؤل الثالث: ما مدى الاهتمام بمرحلة الشيخوخة في مناهج ومقررات إعداد المعلم بكليات التربية، كانت الحاجة للإجراءات التالية:

قامت الباحثة بفحص المقررات التربوية التي يدرسها الطالب المعلم بكليات التربية بمصر، وأظهر الفحص أنه لا يوجد اهتمام بمرحلة الشيخوخة في أغلب المناهج والمقررات. وقد يرجع ذلك إلى أن كليات التربية تكون المعلم لكي يربي التلاميذ بالمراحل التعليمية قبل الجامعية فقط من (سن ٦ ــ ١٨ سنة) أي شاملة لمرحلة الطفولة والمراهقة من مراحل نمو التلاميذ ويعتبر هذا إغفال لأهمية المعلم في غرس القيم في نفوس النشئ في هذه المرحلة، ودعوة التلاميذ لحسن رعاية كبار السن سواء في أسرهم أو خارجها في المجتمع الكبير. مما استدعى الأمر ضرورة إجراء الدراسة الميدانية لاستطلاع رأي أساتذة كليات التربية في كيفية تضمين مناهج كليات التربية موضوعات عن مرحلة الشيخوخة وكيفية رعايتها.

تصميم أداة البحث:

قامت الباحثة بتصميم استمارة استبيان لاستطلاع رأي المحكمين (مجموعة من أستاذة التربية وعلم النفس) عن قائمة تحتوى على عدة موضوعات مقترحة عن مرحلة الشيخوخة، وطلب من المحكمين الموافقة على تضمينها للمناهج والمقررات الدراسية التربوية التي تدرس للطالب المعلم بكليات التربية، أو أن تكون مقررات منفصلة.

تم جمع الاستمارات وتفريغها وعمل التعديلات اللازمة، فأصبحت تحتوي على ١٧ موضوعا ضمن المقررات التربوية ومقرر واحد منفصل.

صدق الأداة :

تم عرض استمارة الاستبيان على ثلاثة من أساتذة التربية بكلية التربية جامعة الأزهر للحكم على مدى صدق الاستمارة بعد إجراء بعض التعديلات أصبحت الاستمارة قابلة للتطبيق على عينه البحث.